من شروطها المادية وإمكاناتها الفعلية، بل انطلاقا من شروط الكاتب ورغباته الذاتية أي من عدم قدرته على رسم العلاقات الروائية في واقعها المادي. لهذا فإن النص الأدبي يضيع، أو ينكسر، ويفقد معرفته الأدبية والفنية أو جزءا منهما، عندما يأخذ الكاتب بالتدخل في نصه، ويصبح جزءا من نصه، أو شخصية من الشخصيات التي يكتبها. ضمن هذه المؤشرات، وانطلاقا من الأطروحة الأساسية السابقة، سوف نحاول الإجابة على أسئلة رواية «الصبار». للبحث عن الإجابة، وكل إجابة نسبية، ننطلق من العلاقة النظرية الأولى: حركة الواقع وحركة الشخصيات التي تدور فيه في الكتابة الروائية.

يتحدد الواقع الفلسطيني بأثر الاحتلال الاسرائيلي فيه وبنضاله ضد هذا الأثر، والأثر الاسرائيلي واسع ومعقد مسّ البنيان الاجتماعي كله وأحدث جملة تغييرات اجتماعية ابرزها تراجع الزراعة وذهاب أكثر من سبعين ألف عامل إلى المصانع الاسرائيلية:

– « كانت بياراتها تمتد حتى الجبل. **وأحرقوها** » (ص ٢٩).

– «الناس لا تبدو عليهم شقاوة العيش. يلبسون على الموضة. يمشون بخطوات أسرع. **ويشترون بدون مساومة. كثرت النقود**. كثرت الاعمال. وارتفعت الأجور وشبع الناس لحما وخضارا وفواكه. ورغم ارتفاع الأسعار **ما زالوا ياكلون بنهم المحروم. ويطعمون أولادهم حتى التورم**. ومن كان بدون كنزة أصبح يختال بجاكيت جلدي. ومن كان بدون لفاعة بات يخبىء اذنيه بياقات فرائية. واستطالت السوالف. وقصرت التنانير. وامتلأت أرداف الخادمات اللواتي أصبحن عاملات وموظفات. شيء ما قد تغير» (ص ٣١).

– «الخادمات ما عدن خادمات. السلم الطبقي مال. وشبع الناس كل الناس» (ص٣٢).

– «احتلال هذا أم انحلال» (ص ٣٣).

– «العمال يملأون مصانع إسرائيل. وأصبح أجر العامل يضاهي أجر السيد» (ص٣٨).

– «وظاهرة الخدم انقرضت» (ص ٤١).

– «المزارع كانت مهجورة، والأشتال ما عادت تغطي سوى رقع متفرقة من الأرض المهملة، وأصوات الدواب التي كانت تملأ الفضاء بثغائها ورغائها ما عادت تعوسق الأجواء» (ص ٤٦).

– «ونحن الآن نعيش كما تعيشون أنتم يا أولاد الوجاهات» (ص ٥٣).

– «الليرة الإسرائيلية خير من الجوع» (ص ٦٠).

– «قبل الاحتلال كنت مستخدم بدل الواحد ثلاثة. وكانوا ماشيين مثل الساعة. بعد الاحتلال فسدوا وصاروا يحاسبونا عالملك» (ص ٨٠).

هذه هي الصورة التي تعطيها «الصبار» للواقع الفلسطيني في واقع الاحتلال،